معهد الدين القيم

بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (7)

التاريخ : الخميس 27 - 4 - 1440 هـ

تفريغ الدرس السابع من دروس شرح الأصول الثلاث

إِنَّ الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيئات أَعمالنا، من يهدهِ الله فلا مُضِلَ له؛ ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلّا وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدهُ ورسولهُ، أمَّا بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديث كلام الله تعالى، وخير الهَدي هَدي مُحمدٍ صلّى الله عليه وسلم، وشَرَّ الأُمورِ مُحدثاتها، وكلّ مُحدثةٍ بِدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة وكلَّ ضلالة في النّار.

قال شيخ الإسلام العالم الإمام محمد بن عبد الوهّاب - رحمه الله -:

الأصلُ الثاني: [مَعرفةُ دينِ الاسلامِ بالأدلّة].

بعد أن فَرَغَ الشيخ - رحمه الله - من بيان الأصل الأول من الأصول الثلاثة وهو معرفة العبد ربَّه وأنَّه ربُّ العالمين، ودَلَّلَ على على ذلك بالادلّة؛ وبَيَّن رحمه الله أنّ هذا الربّ هو الخالق الرازق المُدبّر والذي يجب أَن تُخْلَص العبادة له وحده لا شريك له فيها، وبيّن خطر الشرك وفضل التوحيد، ثُمَّ ذكر بعد ذلك بعضاً من أنواع العبادةِ التّي يجب أن لا تُصرفَ لغير الله، وأقام الأدلة على كونها عبادات لا يجوز صرفها لغير الله تعالى؛ ومن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشركٌ كافر، بعد أن ذكر هذا كلّه، وذكرناه وأَتممناهُ بحمدِ اللهِ عزَّ وجل وتوفيقه، ندخلُ على الأصلِ الثاني من هذه الأصول الثلاثة التي هي أَسئلة القبر باختصار: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟، والأصل الثاني: هو معرفة دين الإسلام بالأدلّة.

<u>الدين:</u> يُراد به الطاعة، يُقال: دانَ له، أي: أَطاعهُ.

ويُراد به كذلك: **الحساب**، قال الله تعالى: { مَالِكِ يَومِ الدِّينِ } أي: يوم الحساب.

هذا الدين الذي تدينُ لله به وتطيع الله به يجب عليك أَنتَ كطالبِ علمٍ أن تعرفه بالأدلة؛ والمراد بالأدلة هنا، أدلة الكتاب والسّنة (الأدلة السمعية) وهي نفسها (الأدلة النقلية)، ولا تكن في معرفة دينك مُقَلداً أو مُتّبعاً لِهواك، فإنّ الإنسان الذي يكون هذا حاله حَريٌّ به إذا سُئِلَ في قبره أن يقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته،كما مَرَّ معنا في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، فحريٌّ بِكَ أيها الطّالب المُوفق أن تحرص غاية الحرص على تعلم دينك بالأَدلة من كتاب الله ومن سنّةِ النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يكون ذلك إلّا بالتعلّم والتضحية بشيء من الجُهد والوقت والمال؛ وإذا كنتَ ممن يعرف دينه بالأدلة فحريٌّ بِكَ أن تكونَ مِمَّن يُثَبَّتُ عند السؤال.

قالَ الشيخ رحمه الله بعد ذلك في تعريف الإسلام:

[وَهوَ الاستسلامُ لله بالتوحيد والانقيادُ له بالطّاعةِ والبراءةُ من الشِّركِ وأهله].

الإسلام في *اللغة*: **هو الإستسلام والانقياد**، يُقال: استسلم الجمل لصاحبه، أي: انقاد له.

وهو في *الشرع*: يُطلق في الكتاب والسنّةِ

ويُرَاد به أحد أمرين:

الإسلام الكوني: وهو الإستسلام والخضوع لأمر الله الكوني؛ وهذا الإسلام ليس للمخلوق فيه اختيار، كالموت والمرض والفقر وغير ذلك، قال الله تعالى: [وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكُرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ].

والإسلام الشرعي: وهو الاستسلام لأمر الله الشرعي والخضوع له بفعل المأمورات وترك المنهيات، وهو ينقسم إلى: معنىً عام ومعنىً خاص:

المعنى العام: وهو ما عَرَّفُهُ به المؤلف رحمه الله حين قال: **الإستسلامُ للهِ بالتَّوحيدِ والإنقيادُ لهُ بالطَّاعةِ والبراءةُ من الشِّركِ وأَهلهِ**، وهذا المعنى العام يشمل دين جميع الأنبياء بلا استثناء بما فيهم دين محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: [إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلام].

والمعنى الخاص: **وهو الإسلامُ الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم**؛ وهو ناسخٌ للأديان قبله؛ وهو الذي يشمل المراتب الثلاث التي سيأتي ذكرها وهي: الإسلام والإيمان والإحسان.

المؤلف - رحمه الله - عَرَّفَ الإسلام بمعناه العام؛ وهو كما قلنا سابقا دين الأنبياء واحد؛ لكنّ الشرائع مختلفة، ثم قَيَّدهُ بعد هذه الفقرة بقوله: وهو ثلاث مراتب: الإسلامُ والإيمانُ والإحسان، وكلّ مرتبة لها أركان، وأنت ترى أنّ المعنى الخاص للإسلام فيه معنى الإسلام العام وزيادة؛ فلا يُقْبَلُ منكَ يا عبدَ الله أن تقول: أنا مستسلمٌ لله بالتوحيد، مُنقادٌ له بالطاعة ومتبرءٌ من الشرك وأهله؛ لكن أنت لم تتَّبِعَ النَّبي محمداً صلى الله عليه وسلم في إسلامك، فأنت على دين غيره، فهذا ليس بمسلم؛ لأنّ دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله ديناً سواه، فهو ناسخ لجميع الأديان، فيجبُ عليك أن تكون مسلماً على الإسلام الذي شرعه الله على محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ في تعريفه:

[وَهُوَ الإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوحِيدِ].

فالإنسان يستسلم لأي شيء؟ يستلم لله بالتَّوحيد؛ بأن يُوحِّده ويُفرده بالعبادة؛ فمن عبدهُ وحده دونما سواه فقد استسلم له بالتَّوحيد .

والتَّوحيد: سبق أن عرفناهُ وقُلنا هو في *اللغة:* **مصدر وَحَّدَ يُوَحِدُ تَوْحِيداً، اذا جعل الشيء واحداً.**

وفي *الشَّرعِ:* **هو إفراد الله تعالى بما يختص به من ربوبيةٍ وألوهيةٍ وأَسماءٍ وصفات،**

وهو أقسام ثلاثة:

* **توحيد الربوبيّة:** وهو توحيد الله سبحانه و تعالى في أفعاله، كالخلق والملك والتدبير.

* **وتوحيد الالوهيّة:** **وهو توحيد الله تعالى في أفعالنا؛ فنعبد الله وحده ولا نشركَ معه غيره.**

*** والثالث توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراده سبحانه وتعالى بما سمَّى به نفسه أو وصف في كتابه أو في سنة نبيّه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.**

ثم قال في تعريف الإسلام: **[والإنقياد له بالطاعة] : وذلك بأن تنقاد لله عز وجل بفعل المأمور وترك المحظور.**

[والبراءة من الشرك وأهله]: بأن تعتقد بطلان الشرك فتبتعد عنه وتبغض أهله، قال الله تعالى: { قَدْ كَانَت لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ }.

بهذه الكلمات المختصرة عَرَّف الشيخ - رحمه الله – الإسلام، ولكَ أن تمشي من المشرق إلى المغرب فكم من منتسب إلى الإسلام إذا قلت له: ما هو الإسلام؟ لم يجب جواباً صحيحاً.

ثم قال - رحمه الله – :

[وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكلّ مرتبة لها أركان.]

هذا الدين: دين الاسلام ثلاث مراتب، **والمراتب :** جمع مرتبة. أي: **درجات ومنازل بعضها أعلى من بعض**، هذه المراتب هي الدين كلّه، مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الاحسان، هي الدين كلّه؛ لذا جاء في آخر حديث جبريل المشهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"** ؛ فسمَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الثلاث دِيناً.

فتأتي مرتبة الإسلام وهي أوسع المراتب؛ ثم تأتي مرتبة الإيمان وهي أَضيق من دائرة الإسلام، ثم تأتي مرتبة الإحسان وهي أضيق المراتب.

ولك أن تمثل ذلك عندك برسم، فترسم دائرة كبيرة هي دائرة الاسلام، ثم ترسم دائرة داخل الدائرة التي رسمناها للإسلام وتسميها: دائرة الإيمان، ثم ترسم دائرة أصغر داخل الدائرة الثانية: دائرة الايمان، وتسميها دائرة الاحسان.

هذه المراتب الثلاث كلّ مرتبة لها أركان.

وركن الشيء هو: جانبه الأقوى، وهو ما يقوم عليه ولا يقوم بدونه، ولا يقوم البيت دون أركان.

كذلك هنا لا تقوم هذه المراتب دون هذه أركان.

دليلُ هذه المراتب وهذه الأركان سيأتي كلّه في حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي سيأتي معنا قريباً بإذن الله فإنّه ذكر لكلّ مرتبة أركاناً.

ثم قال المؤلف - رحمه الله -:

[فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إِلهَ إِلَّا الله، وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجّ بيت الله الحرام".]

دليل ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أن لا إلهَ إلَّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجِّ بيت الله الحرام" وهو متفق عليه، وكذلك ورد ذكرها في حديث جبريل المشهور، هذه الأركان الخمسة هي أساسات الإسلام وأركانه التي يقوم عليها وإلّا فإنَّ هناك أموراً أخرى من الإسلام لكنّها ليست بهذه المنزلة؛ وإنَّما هي مُكمّلاتٍ لهذه الاركان.

وأول أركان الإسلام مُكوّن من شقين: +شهادةُ أن لا إله إلّا الله وشهادة أنّ محمداً رسول الله.

وجُعلتا ركناً واحداً لأنّهما متلازمان ولا يمكن أن نوّحد الله دون اتّباعٍ للنبي محمدٍ صلى الله وعليه وسلم، ولا يمكن اتباع محمدٍ صلى الله عليه وسلم دون تحقيق التوحيد ولأنّ العبادة لا تُقبل إلَّا باجتماعهما معا وتحققهما جميعا، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وفي هذا إشارة إلى شرطي قبول العبادة.

فشهادة أن لا اله إلّا الله تضمنت رُكن للإخلاص.

وشهادةُ أنّ محمداً رسول الله تضمنت ركن المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم.

هذا الركن؛ ركن الشهادتين أعظم الأركان، وهو أصل الدّين، وبهما يدخل المرء الإسلام وإذا عُدم هذا الركن عدم الدين كلّه.

والشهادة : هي الإخبار عمَّا في قلبك يقيناً، ومعنى الشهادة أنطقُ بلساني عمّا يكنّهُ قلبي.

وباقي الأركان هي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحجّ، وهذه كلّها أعمالٌ ظاهرة.

ثم قال - رحمه الله –

[فدليل الشهادة قوله تعالى: { شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلمِ قَائِمًا بِالقِسطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ } .]

أي: دليل شهادة أن لا إلهَ إلَّا الله، لأنّ الشهادة إذا أطلقت قُصد بها شهادة: (أن لا إلهَ إلَّا الله) لذلك المؤلف - رحمه الله - لم يقل : فدليل شهادة أن لا اله إلّا الله، بخلاف الثانية -وستأتي - فإنّه قال فيها: ودليل شهادة أنّ محمداً رسولُ الله.

قول الله تعالى: (شَهِد الله): أي: **حكم وقضى وأعلم وألزم وبيّن**، هذه كلّها بمعنى واحد.

(أنّه لا إلهَ): نافياً العبادة عمّا سوى الله عز وجل.

(إلّا هو): مُثبتاً العبادة لله وحده.

وفي الآية أَشْهَدَ الله نفسه وملائكته وأولو العلم؛ وهم أَعظمُ شاهد أشهدهم على أعظم مشهود وهو شهادة أن لا اله إلّا الله، وكما سبق وأشرنا أَنَّهُ لو لم يكن للعلماء من فضلٍ إلَّا هذا لكفاهم شرفاً وفضلا، وعند قولنا العلماء فالعلماء هم العلماء بدينهِ وشرعهِ، فإنّ العلم اذا أُطْلِق في القرآن فإنّه يُطلَق على العلم الشرعي ولا يُطلق على غيره.

وقوله: (قائماً بالقسط): أي: قائماً على شؤون خلقه بالعدل، يخفض ويرفع يُعطي ويمنع يُعزّ ويُذِل.

(لا إله إلّا هو العزيز الحكيم): ختمها الله عز وجل بما بدأها به، فإنّها بُدئَت بالتوحيدِ وخُتِمَتْ بالتوحيدِ.

والعزيز : اسمٌ من أسماء الله تعالى يتضمنُ صفة العزَّة.

والحكيم : كذلك من أسماء الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى ذو الحكمة الذي يُحْكِم الأشياء ويُتقنها.

ثم قال - رحمه الله - :

[ومعناها لا معبود بحقٍ إلا الله وحده].

أي: معنى لا إله إلّا الله : **لا معبود بحقٍّ إلّا الله.**

ومعنى شهادة أن لا إله إلّا الله : **هي أن يعترف الإنسان بلسانه عَمَّا يُكّنه قلبه بأنّه لا معبود بحقٍّ إلّا الله.**

لا إلهَ إلّا الله : هذه الكلمة التي نقولها دائماً؛ ونتمنى أن تكون آخر كلامنا في هذه الحياة الدنيا يجب علينا أن نعرف معناها، فما معنى إله في (لا إِلٰهَ إِلَّا الله).

الإله: هو المعبود، لأنّ الإله : مِنْ أَلَهَ يَأْلَهُ إِلٰهَةً ، أي: عَبَدَ يَعبدُ عبادةً .

قال الشاعر:

للهِ دَرُّ الغَانياتِ المُدَّهِ *** سبَّحنَّ واسْتَرْجعنَ مِنْ تَألّهِي

من تألهي: أي من تعبدي.

والله سبحانه وتعالى يقول في بداية سورة هود: { آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } أنظر: أن لا تعبدوا إلّا الله، وهي موافقة لكلمة التوحيد (لَا إِلٰهَ إلّا الله)، فلذلك فَسَّرنا الإله بالمعبود، فهو مُوافق لما جاء في القرآن، وهو موافق كذلك للغة العرب، فالتأله معناه **التَّعَبُّدَ**، ولا إلٰهَ: **أي لا معبود.**

ونحن لا نُفسّر لا إلهَ إلَّا الله بتوحيد الربوبية ونقول لا ربّ إلّا الله، وعليه يكون: لا خالق ولا رازق إلّا الله، فالربوبية غير الألوهية ولو كانت كذلك لما امتنع كفار قريش من قولها، لأنّهم كانوا إذا سُئِلوا من خَلَقهم؟ فإنهم يقولون الله، قال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهَ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } ، وقال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتُهُم مّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤفَكُونَ}، وإذا سُئِلوا من يرزقهم فإنهم يقولون الله ، من الذي يحي ومن الذي يميت فإنّهم يقولون الله، قال الله تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المُيِّتِ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَّبِرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}، وقال

تعالى: { قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيهِ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ سَيقُولُونُ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تِسْحَرُونَ }، هم يعترفون بكلّ هذا، لكن مشكلتهم في توحيد الألوهية، توحيد العبادة لله تعالى؛ لذلك علموا معناها فامتنعوا من قولها وهم يعلمون علم اليقين أن نطقهم لهذه الكلمة معناها الكفر بكلّ إله غير الله سبحانه وتعالى، لذلك قالوا : { أجعلَ الألهة الهاً واحداً إنّ هذا لشيء عُجاب } .

ولا نقول كذلك في تفسيرها ***لا معبود إلّا الله*** ؛ فإنّ هذا غلط كبير، لأنّه تكون حينئذ هذه المعبودات كلّها هي الله، فإننا نعلم أنّ هناك معبودات عُبدت من دون الله وسمّاها الله ألهة في كتابه: قال تعالى: { فَمَا أغْنَتْ عَنْهُمُ الِهَتُهُم التَّي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيء لَمّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ }، فهي ألهة عُبِدت لكن عُبِدت بباطل ولم تعبد بحق.

فلماذا قال الشيخ رحمه الله أنّ معناها: لا معبود بحقّ إلّا الله؟ ولماذا أضاف كلمة بحقّ إلى معناها؟

أنتَ اذا قُلتَ أنَّ معناها: لا معبود بحقّ إلّا الله، حينها انتفت هذه المعبودات كلّها إلّا الله سبحانه وتعالى.

(لا إلهَ إلَّا الله) : لا: هذه نافية للجنس، تعمل عمل إنّ نصبت الاسم الذي هو **(إله)** لا إلهَ، وقلنا قريباً أنّ معنى إِلَهَ معبود، ولا هذه النافية ترفع الخبر، والخبر محذوف وتقديره حقٌّ وقدّرنا الخبر حقٌّ لقوله تعالى في سورة الحج: { ذلك بأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلَ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلّي الكَبِير }، وقوله كذلك في سورة لقمان: { ذَٰلِكَ بأَنَّ اللهُ هُوَ الْحَقّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ِالبَاطِلَ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلّيُّ الكَبِير }، ولو قَدَّرنا الخبر كما فعل البعض بموجود يكون المعنى: لا إله موجود إلّا الله، وهو نفس ما سبق بأنّه لا يصحّ تفسيرها بلا معبود إلّا الله؛ وإنّ هذا مخالف للواقع، فإنّ المعبودات وجدت وعبدت ولكن عبدت بغير حق.

وإلّا: في قول لا إله إلَّا الله ، **إلَّا:** أداةُ استثناء، **إلّا الله:** أثبتت العبادة لله وحده دون سواه.

فعليه فقولك لا إله إلّا الله: **لا معبود بحقّ إلّا الله.**

أي : أنَّ كلّ ما يُعبد من دون الله عبادته باطلة ؛ وأنّ المستحق العبادة على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى ، والخلاصة والتي يجب عليك معرفتها أنّ معنى لا إله إلّا الله هو ما قاله الشيخ رحمه الله: لا معبودٌ بحقٍ إلّا الله، أو نقول: لا معبود حقٌ إلّا الله.

ثم قال الشيخ -رحمه الله-:

[لا إله نافياً جميع ما يُعبد من دون الله، إلّا الله: مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما إنّه لا شريك له في ملكهِ.]

نستفيدُ من كلامِ الشيخ - رحمه الله - أركان لا إِلَهَ إِلَّا الله وهما: النفي والإثبات.

لا إله: نفي العبادة عمّا سوى الله، إلّا الله: إثبات العبادة لله وحده دون سواه، ولا يكفي أحدهما عن الآخر.

قال الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ ابْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَة بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ }،

{ إنني براء مما تعبدون } : هذا نفي وتبرأ مما يعبدون،

{ إلّا الذي فطرني } : هذا إثبات للعبادة لله وحده.

قال تعالى: { فَمَنْ يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَام لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيم } فمن يكفر بالطاغوت: هذا النفي، ويؤمن بالله: هذا الإثبات .

وقال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِل وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِّيّ الْكَبِير }، ذلك بأنّ الله هو الحق: فيه إثبات الألوهية لله وحده، وأنَّ ما يدعون من دونه هو الباطل: فيه نفي.

وفي آخر كلام الشيخ رحمه الله إلزام للناس بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية؛ وذلك في قوله رحمه الله:**[لا شريك له في عبادته كما أنّه لا شريك له في ملكه] .**

ثم قال رحمه الله:

[وتفسيرها الذي يُوضحها قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمَهُ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } .]

هذه الآية تفسر لنا معنى كلمة التوحيد: (لا إلهَ إلَّا الله)، ففيها النفي والإثبات كما تقدم، فيها الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده .

{ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه } : إبراهيم هو خليل الرحمن، أبو الأنبياء من بعده، إمام الحنفاء، أفضل النبيين والمرسلين بعدَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وأبوه هو آزر، ورد ذكر اسمه في آية أخرى.

ماذا قال إبراهيم لأبيه وقومه ؟ (إنني بَرَاءٌ مما تعبدون)، وهذه موافقة لـ (لَا إلٰهَ)وفيها النفي وهو الكفر بما يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى .

(إلّا الذي فطرني): إلّا الله، وهي موافقة للإثبات؛ إثبات العبادة لله وحده.

وقوله (فطرني) : أي: خلقني وأوجدني، وفي هذا إشارة إلى أنّ توحيد الربوبية يَستلزمُ توحيد الألوهية، الذي هو توحيد العبادة ولا بد، وكما أنّه لا شريك له في الخلق، فلا شريك له في العبادة.

(إلّا الذي فطرني فإنّهُ سيهدين): **سيهدين:** أي: يدلني على الحق ويوفقني إليه،

<u>والهداية هدايتان:</u>

<u>هداية التوفيق :</u> وهي لله وحده، قال الله تعالى لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } .

والهداية الثانية: **<u>هداية البيان:</u>** وهذه ثابتة للرسل ولأتباعهم، قال الله تعالى :{ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } .

ثم قال في الآية التي استدل بها الشيخ - رحمه الله -:

{ وجعلها كلمة باقية } : اتفق أهل التفسير على أنّ الكلمة الباقية هي كلمة التوحيد (لا إلهَ إلَّا الله)، وهي مذكورة هنا في هذه الآية بمعناها المتضمن للنفي والإثبات.

{ وجعلها كلمةً باقية في عقبه } : أي: في ذريته ونسله.

{ لعلهم يرجعون } : أي: يرجعون من الشرك إلى التوحيد.

ثم قال -رحمه الله-

[و قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمونَ}.]

هذه الآية مثل الآية التي سبقت؛ فإنّ فيها بيان وتفسير لكلمة لا إله إلّا الله.

(قل): يا محمد.

(قل يا أهل الكتاب): وهم اليهود والنصارى.

(تَعالَوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم): وهي كلمة التوحيد، وذلك في قوله تعالى: (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيئًا) وَهُذه هي الكلمة السواء التي بيننا وبينكم، أي: نحن واياكم فيها سواء، وهذه الكلمة في الآية اشتملت كذلك على النفي والإثبات، وذلك في قوله:

(ألّا نعبد): هذا النفي وهي توافق لا إله.

(إلّا الله): وهذا الإثبات.

(ولا نشرك به شيئًا): شيئاً هنا نكرة في سياق النفي؛ فهي تَعُمَ كلّ الشرك صغيرهُ وكبيرهُ دقيقهُ وجليلهُ.

(ولا يتخذُ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله): أي: لا يُعَظِّمُ بعضنا بعضاً كتعظيم الله.

(فإن تَوّلوا): أي: فإن أعرضوا.

(فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون): قولوا لهم وأخبروهم أنكم مُوحدون مُؤمنون بهذه الكلمة وتبرؤوا منهم.

ويحْسن بنا بعد أن عرفنا معناها وعرفنا أركانها أن نعرف شروط هذه الكلمة:

وهي باختصار سبعة نظمها الشيخ العلامة حافظ الحكمي - رحمه الله تعالى - في (سلم الوصول إلى علم الأصول) نظماً بديعاً يسهل معه حفظها فقال - رحمه الله - :

الْعِلْمُ وَاليقينِ والقَبولُ *** والانقياد فادرِ ما أقُولُ

والصِّدق والإخلاصِ والمَحَبَّة *** وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحبَّه .

العلم: هذا الشرط الأول، قال: العلم واليقين: اليقين: هو الشرط الثاني، والقبول: هذا الشرط الثالث، والانقياد: الشرط الرابع، فادرِ ما أقول، والصدق: هذا الشرط الخامس، والإخلاص: الشرط السادس، والمحبّة: الشرط السابع، وفقك الله لما أحبّه، آمين.

فالعلم: هو العلم المُنافي للجهل،

واليقين: هو المُنافي للشك،

والقبول: المُنافي للرد،

والانقياد: المُنافي للترك،

والصدق: المُنافي للكذب،

والاخلاص: المُنافي للشرك،

والمحبّة: المُنافية للبغض.

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً كالشيخ العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى – وهو:

(الكفرَ بما يُعبَدُ من دون الله)

وجمعت في نظم آخر:

عِلْمٌ يَقْينٌ وَإِخلاصٌ وَ صِدْقُكَ مَعَ *** مَحَبَّةٍ وَانْقِيادٍ وَالقَبولِ لَهَا

وزيد ثَامِنُها الكُفرَانِ مِنْكَ بِمَا *** سِوَى الإِلهِ مِنَ الأَشياءِ قَدْ أُلِهَا

فالذي ينبغي لطالب العلم أن يحفظ هذه الشروط أو يختار النظم الأول أو الثاني حسب ما يتيسر له، فيحفظه؛ فالنظم يُعين الطّالب على تقييد الفوائد، لذلكم قال الناظم حاثّا على الاعتناء بالمنظوم، قال:

واحرص على المنظوم فهو أسهلُ *** للحفظ من نثر ومنه أجملُ

وهو لطلاب العلوم أَنفعُ *** وللفوائد الحسان أجمعُ

من أجلِ هذا عَوَّل الاعلامُ *** عليه وانبرت له الأقلامُ

ثم قال الشيخ رحمه الله:

[ودليل شهادة أنّ محمداً رسول الله قوله تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } .]

أي: والدليل على أنّ شهادة أنَّ محمداً رسولُ الله ركنٌ من أركان الإسلام قول الله تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } .

اللام في (لقد) : لام قسم، فيها قسم مقدر، تقديره: والله لقد جاءكم .

قد: حرف تأكيد بعد تأكيد، فاجتمعت ثلاث مؤكدات: القسم واللام وقد.

(جَاءَكم): خطاب عام لجميع الناس حتى الجن، وقد يُحمل المخاطب على العرب دون غيرهم، فيكون المعنى: لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم.

(رسول): **الرسول:** من أُوحي إليه بشرعٍ وأُمر بتبيلغه، وهو مُرسل من الله سبحانه وتعالى.

(من أنفسكم): أي: من جنسكم، من جنس البشر ليس ملَكا، فهو منكم ومثلكم، تعرفونه وتعرفون نسبه وبلده وقبيلته وتعرفون أخلاقه حتى.

(عَزِيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّم): يشقّ عليه ما يشقُ عليكم، لذلك جاءت شريعتة سهلة سمحة وما فيها مشقة.

(حريصٌ عليكم): أي: حريص على هدايتكم ونصحكم وإنقاذكم من النّار.

(بالمؤمنين رؤوف رحيم): وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم رؤوف ورحيم بالمؤمنين، أمَّا مع الكفار فهو غليظ شديد عليهم، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظ عَلَيهِم وَمَأوَاهُم جَهَنَّمَ وَبِئسَ المَصِيرِ}.

قال - رحمه الله - :

[ومعنى شهادة أنّ محمداً رسول الله طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ماعنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلّا بما شرع".]

معنى **الشهادة** تقدم وقلنا بأنّه **الإخبار عَمَّا تعتقده في قلبك أنَّ محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب القُرشيّ الهاشميّ مُرْسلٌ من عندِ الله تعالى إلى الثقلين الجن والإنس، فهو عبدٌ لا يُعْبَد ورسولٌ لا يُكَذَّب.**

أوحى الله إليه بشرعٍ وأمرهُ بتبليغهِ وأنزلَ عليه الكتاب والحكمة، ويلزم من هذه الشهادة أمورٌ ذكرها الشيخ - رحمه الله - وهي:

طاعته فيما أمر: قال الله تعالى: { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه }، وقال تعالى: { وَأَطِيعُوا اَللّهَ وأَطِيعُوا الْرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُم فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِين".

وتصديقه فيما أخبر: قال الله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَا وَحيٌ يُوحَى }، فالرسول صلى الله عليه وسلم يخبر عن ربّه بأمور كثيرة ومنها: الأمور الغيبية، فكيف بمن يشهد أنّه رسول الله ولا يُصدّقه في أخباره !

واجتناب ما نهى عنه وزجر: قال تعالى: { وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا }، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا نهيتكُم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيءٍ فَأْتُوا منه ما استطعتم).

وأن لا يُعبد الله إلّا بما شرع: فلا يُعبد الله عز وجل بالبدع والمحدثات وبالأهواء والضلالات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عَمِل عملاً ليسَ عليهِ أمرنا فهو رَدّ)، "متفق عليه ".

فالمسلم حقاً وصدقاً إنّما يعبد الله بما شرعه سبحانه وتعالى، وبما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تَمسّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ؛ وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بِدعة وكلّ بدعة ضلالة) رواه أبو دواد والترمذي وغيرهما من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه-.

ثُمَّ قالَ المؤلفُ رحمهُ الله:

[ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ } .]

أي: ودليل أنّ الصّلاة والزّكاة من الدين وتفسير التوحيد قول الله تعالى في سورة البينة: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُوتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِيْنُ القَيِّمَةِ)

فالله سبحانه وتعالى أمرنا بعبادته؛ وأمرنا بعبادته وحده مخلصين له الدين، أي: هذه العبادة تكون صافية ونقية من الشرك، هذه العبادة تكون له وحده لأنّ الإخلاص هو التصفية و هو التنقية.

(حنفاء): أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيد؛ وهذا هو تفسير التوحيد الذي عناه المؤلف رحمه الله.

(ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة): وهذا من باب عطف الخاص على العام؛ لأنّ الصلاة والزكاة من العبادة، ومع ذلك ذكر العبادة وأنّه يجب أن تكون له خالصة، ثم ذكر الصلاة والزكاة لعظيم أهميتها.

ثم قال: (وَذَٰلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ): أي: دين الملّة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها.

والله تعالى قيّد الصلاة بإقامتها، فقال تعالى: (ويقيموا الصلاة) ولم يقل: (ويصلوا)، فإقامة الصلاة إعطاؤها حقّها وذلك بإقامتها بطهارتها والمحافظة على أدائها في وقتها بشروطها وأركانها وواجباتها، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته: "ارْجع فَصلِّ فإنَّكَ لم تُصَلِّ"، وهذا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو "متفق عليه "، فأنتَ اليوم ترى الجموع الكثيرة من المِصلين لكن المُقيمين لها في الحقيقة قليلٌ والله المُسْتَعان.

والزّكاة إنّما تجبُ لمن ملك النّصاب وحالَ عليها الحول وتفصيل ذلك في كتب الفقه.

ثُمَّ قال رحمهُ الله:

[ودليل الصيام قوله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ].

(كتب): أي: فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من الأمم.

وفي قوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أي: لكي تتقون عذاب الله وتفوزون بثوابه.

ثُمَّ قال رحمهُ الله:

[ودليل الحجّ قوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا وَمَنْ كُفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ] .

قَيَّدَ رُكْن الحجّ بالاستطاعة، قال الله تعالى: (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا) وهو واجبٌ مرةً في العمر.

هذه هي أركان الإسلام الخمسة وهذه أدلتها.

ونتوقفُ هنا لأنّ المؤلفُ رحمهُ الله سينتقل الى المرتبة الثانية من مراتب الدين، وهي (مرتبة الإيمان) وهذه سيكون الحديث عنها في المجلسِ القادمِ بإذن الله تعالى .

نكتفي بهذا القدر هذه الليلة .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهدُ أن لا إله إلّا أنت أستغفركَ وأتوبُ إليك.